

فطام للهوى وشذ للشوق والرغبة، وامتحان لقوى النفس يسر غورها ويلذ فيه حب الاستطلاع.

إلا أنها محاولة قصيرة لم يُكتب لها العمر المديد.

فما هو إلا موعد أو موعدان حتى أحس كما يحس كل رجل يفهم طباع المرأة التي يهواها أنها لم تحافظ على وفائها ولم تعصم جسدها أيام الغياب، وأنها أصبحت ترحب بالتسويق؛ لأنها تريده وتستريح إليه ... ورجع إلى ذاكرته يفتش لعله يذكر هل هي التي اقترحت في بادئ الأمر أن يعالج الشك بالتسويق والمباعدة بين المواعيد أو هو الذي بدأ بالاقتراح، فنذكر أنها كانت تحوم حول الاقتراح وتوحيه إليه وتهتم بأن توقع في ذهنه أنه هو صاحبه وموحيه ... فقال لها متهكمًا: أرى أن الحل الأخير الذي اهتدينا إليه يرضي أكثر من اثنين!

قالت: ماذا تعني؟

قال: أعني أنه ربما أرضى ثلاثة بدلاً من اثنين، وربما أربعة ... من يدري؟  
قالت متهكمة: وربما خمسة أو ستة ... زيادة خير ... ولماذا تكره الرضى لعباد الله؟!  
وتلا هذه المحاورة منظر من مناظر المسابقة في الإيلام والتبكيك والغضب والإغضب،  
قال فيه وقالت، وتمادى فيه وتمادت، وباح فيه وباحت، وخرجت من المنزل حانقة لا تودع ولا تسلم ولا تعد بلقاء مؤجل ولا بلقاء سريع.

وانقضت مدة لا يسمع منها ولا تسمع منه، ولا يسعى إليها ولا تسعى إليه، ونازعته أهواؤه مرات في أثناء هذه المدة أن يراها وأن يتحدث إليها فنفر أشد نفور وكظم هذه الرغبة بجهد أليم، وبينما هو يحسب نفسه غاضبًا نافرًا إذا به يتحول رويدًا رويدًا إلى مشفق حزين، وإذا بإشفاقه الحزين أقرب إلى إشفاق الأبوة الرحيمة منه إلى إشفاق الغرام اللجوج، وإذا به في ساعة من الساعات يكتب إليها في الخطاب:

**أيتها الصديقة:**

أيًا كان رأيي فيك أو رأيك فيّ فلا ضير في إرسال هذه الكلمة إليك، ولا خسارة عليّ إن ضاعت عندك أو صادفت نصيبًا من الإصغاء ... إن مسحة من الألم المحها على وجهك تُخيل إليّ أنني أخاطبك منك مستمعًا، وأن موضعًا حيًا في ضميرك لا يزال مفتوحًا لهذا الخطاب.